ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:
Raghad Khudair Hassan Askar
Dr. Mohammed Ridha Al-Awsi
University: Wasit University/
College: Arts College
Email: rag85had@gmail.com
Malawsi@uowasit.edu.iq

Keywords:
structure, the main character, Autobiography

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 21 Jan 2023
Accepted 16 Feb 2023
Available online 1 Apr 2023

Modelling the Primary Character in Abdullah Ibrahim's Autobiography - Biography (Amwaj)

A B S T R U C T

Characters in autobiographies and altruistic biographies are genuine people. They are not fictitious in any way, as is the case with characters in other types of literary works. Therefore, the name that is published on the front cover of the biography is also the name of the person who is the subject of the biography. Following his words and actions, as well as his relationships with other personalities and his positions on events that took place or witnessed him in every stage of his formation. The study can establish a foundation upon which to construct Dr. Abdullah Ibrahim's personality. This foundation allows us to stand on building the personality of Dr. Abdullah Ibrahim.

© 2023 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/

بناء الشخصية الرئيسة في السيرة الذاتية – سيرة (أمواج) لعبد الله إبراهيم أنموذجا

الباحثة رغد خضير حسان عسكر جامعة واسط / كلية الآداب / قسم اللغة العربية
أ.م.د. محمد رضا عبد الستار الأوسي جامعة واسط / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

الخلاصة:

تمتاز شخصيات السيرة الذاتية والسيرة الغيرية بأنها شخصيات حقيقية ، وليست خيالية ، كما هو الحال مع شخصيات بقية الأجناس الأدبية ؛ وبذا يكون اسم المؤلف المكتوب على غلاف السيرة الذاتية هو اسم الشخصية الرئيسة فيها ، وبوسعنا أن نقف على بناء شخصية الدكتور عبد الله إبراهيم من خلال متابعة أقوالها وأفعالها ، وعلاقاتها مع غيرها من الشخصيات ، فضلا عن مواقفها من الأحداث التي جرت لها أو عاصرتها في كل مرحلة من مراحل تشكلها .

الكلمات المفتاحية : بناء ، الشخصية الرئيسة ، السيرة الذاتية .

المقدمة

تمتاز شخصيات السيرة الذاتية والسيرة الغيرية بأنها شخصيات حقيقية ، وليست خيالية ، كما هو الحال مع شخصيات بقية الأجناس الأدبية ؛ وبذا يكون اسم المؤلف المكتوب على غلاف السيرة الذاتية هو اسم الشخصية الرئيسة فيها ، وبوسعنا أن نقف على بناء شخصية عبد الله إبراهيم في (أمواج) من خلال متابعة

أقوالها وأفعالها، وعلاقاتها مع غيرها من الشخصيات، فضلا عن مواقفها من الأحداث التي جرت لها أو عاصرتها في كل مرحلة من مراحل تشكلها ؛ فهناك شخصيات كانت ملازمة له، وأخرى جمعها به لقاء لمرة واحدة في انتقاله من بلد لبلد آخر، فضلًا عن مواقفه ورؤاه إزاء الكثير من قضايا المجتمع والأحداث السياسية والاجتماعية التي عاصرها .

1-مرحلة الطفولة:

لا تتشكل شخصية المرء إلا ببطء ، وبالاحتكاك مع الذوات الأخرى والأحداث (موروا، 1999، ص48) فلا يمكن معرفة شخصية ما بشكل دقيق وواضح إلا من خلال علاقتها بمن حولها، والأحداث المرتبطة بوجودها، وأول محطة لمعرفة الشخصية هي مرحلة الطفولة، إذ ولد عبد الله إبراهيم في العام الذي ذهب فيها والده إلى مكة عام 1957م(إبراهيم، 2017، ص21) ليتربى في جو عائلي قروي، من أب متزوج بأكثر من امرأة، وأم تصغر أبيه بسنوات ليست بالقليلة، فهي بعمر أولاده من زوجته الأولى، وقد نال عبد الله إبراهيم في طفولته مكانة متميزة في العائلة، وذلك لكونه الابن البكر لأمه، الذي كُتبت له الحياة بعد أربعة ذكور قضوا نحبهم قبله لأسباب غامضة، فكان فارق العمر كبيرًا بينه وبين أخته عائشة، وكان طفلا صغير " وسط عائلة محكمة بتقاليد حياة الفِلاحة وحيث الأب الذي يعزف عن إبداء أية نوازع رقيقة تجاه ولده" (الدليمي، 2022، ص199) وكان دور الأم أشد وضوحًا في السيرة، وذلك بسبب الفترة القصيرة التي عاشها مع والده، نتيجة يتمه المبكر الذي جعل دور الأب ضئيلا في حياته، فلم يعهد " بناءً عائليًا متواصلًا بسبب اختفاء الأب ثم الأم في وقت مبكر " (إبراهيم، 2017، ص11) من حياته ، وسرعان ما أدرك وجوب قيامه " بمهمّات لا يقوى عليها إلا الكبار" (التميمي، 2022، ص235) ، وكما هو معروف لدى أكثر كتاب السيرة الذاتية فأن مرحلة الطفولة من أكثر المراحل تعرضا للنسيان ؛ بسبب بعدها الزمني عن زمن كتابة السيرة، وفضلًا عن هذا فقد يكون نسيانها رسالة غير مباشرة من لدن الكاتب ، أو افصاحًا من نوع آخر عن طبيعة الحياة في تلك المرحلة " وفي السنوات الرابضة على حدِّ النسيان، ندر أن انخرطتُ في النسيج الصاخب لعالم الصغار؛ وما برحت الطفولة شبه مجهولة عندي، وتضاءلتْ أهميتها، ثم انطفأت كوهم مُختلق." (إبراهيم، 2017، ص 12) فعبد الله إبراهيم ألمح إلى سر شحة ذكريات طفولته، وكان للنسيان الأثر الأكبر بسبب المسافة الزمنية الطويلة التي تفصل الإنسان في العادة عن لحظة الشروع باسترجاع ذكرياته فيها ، مضيفا إلى ذلك سرا آخر كان وراء شحة ذكرياته عن مرحلة طفولته" لقد كان مشغولًا بالحاضر، والمستقبل فليس ثمّة ما يغريه في الماضي؛ ولهذا نشط في البحث عمّا يلتصق بفرديّته، ويغذيها، ويقويها" (التميمي، 2022،ص235)، ونعني بهذا طبيعته التي لم تسمح له بالانخراط في عالم الصغار لتكون له ذكريات معهم عن هذا العالم، إذ وجد نفسه بسبب طبيعته المختلفة مندفعًا إلى ممارسة دور أكبر من أن يقوم به طفل، وأصغر من أن تلبّي

خيالاته(إبراهيم، 2017، ص11) فلم ينتمِ لعالم الصغار إلا ما ندر، وكأنه أراد التلميح مقدما بهذه الاشارات إلى ما سيكون عليه مستقبلا من تميز وفرادة بين أقرانه؛ بوصف مرحلة الطفولة من أهم المراحل المؤثرة في بناء شخصية الفرد وتشكيلها وتحديد ملامحها، وترجيح هذا من خلال إشارته إلى مسار حياته المختلف والمميزعن بقية اقرانه منذ الطفولة ، فمرحلة الطفولة التقليدية كانت شبه مجهولة عنده، وسرعان ما شعر برغبته المبكرة في التخلص من قرويته التي كانت تشده إلى الوراء بحسب قوله ، فهو عربي من قرية تقع إلى الغرب من كركوك " وتعود سجلات الأحوال الشخصية لأسرتي فيها إلى الحقبة العثمانية، فنحن من العرب الأصليين في المدينة(إبراهيم، 2017، ص 16) ولكنه لم يكن يعبأ بالانتماءات الضيقة منذ الطفولة وخاصة المذهبية أو الطائفية ، مؤكدا هذا بقوله " ما خالجني شعور بأنني أنتمي إلى مذهب ما، وحينما أنخرط في سجال تثار فيه هذه القضية أتحدَّث عن إسلام بلا مذهب"(إبراهيم، 2017، ص25) وهذا اعتراف مبكر مهم لكل من يعتزم الاشتغال في حفريات الثقافة ، وإعادة النظر في منطلقاتها وفحص مسلماتها؛ " فهو يعلن تمرده على كل الأنساق التي كان يدور في تحليلها في كتبه النقدية، فالقبيلة قد تمرد عليها، وعلى عاداتها، ولم تعد تشكل له أيَّ حافزٍ، بل يعدُّها عارًا، والدين والطائفة لا تشكلَّان لديه أيَّ أهمية تُذكر" (الساعدي، 2022، ص196)، لأن عبد الله إبراهيم كان مسلما بلا مذهب على حد وصفه ، وفضلا عن هذا لم يحتف بالانتساب القبلي ، ولم يفصح بأنه (حمداني) إلا بصورة غير مباشرة ، في الحوار مع شخصيات أخرى، وكأنه يحاول القول بأن الأخرين هم من يريدون ذكر هذا الأمر، كحواره مع النسابة (ص22) وهي محاولة منه في التشكيك في صدق ما يقوله عن الأنساب، وكذلك حواره مع صديق جامعي له من أسرة النجَّار الشيعية في النجف، "وفي ليبيا، نحو منتصف التسعينيات، زارني صديق جامعي من أسرة النجَّار الشيعية في النجف، متخصِّص في التاريخ العثماني ، وفي سياق حديث عابر عن علاقة الأقليات بالوجود الاستعماري كنت أحدِّثه به، سألني عن عشيرتي، فقلت مجيبًا عن سؤال عارض:

-حمداني.

فأوقفني فورًا ، وقال:

-يعني أنك شيعي.

وحوَّل النقاش إلى مسار يوافق رغبته، وقال:

-الدولة الحمدانية شيعية.

ولمَّا دقَّقتُ في ذلك، بعد أن غادر بيتي، وجدت قوله صحيحًا، فلم أنتبه إلى ذلك من قبل، ولم أعرف به ؛ لأنني لم أقرأ التاريخ من وجهة نظر مذهبية"(إبراهيم، 2017، ص23) فهو لم يشعر يومًا ما بأنه ينتمي إلى مذهب أو طائفة ، وظل يعتقد أنه أمر عرفه وورثه عن أجداده فكانوا شبيهين به، فلم يحفلوا بأوهام الانتساب القبلي والمذهبي ، مؤكدا هذا في موضع آخر في السيرة ، بعد التحاقه بالجيش العراقي: " ثم رفع الآمر عينيه بتثاقل، وسأل باستنكار:

_ هل أنت عربي؟

فأجبت:

_ نعم سيدي.

قال:

_ من أية عشيرة ؟

تباطأت، واستحضرت مرويات انتسابي، فقلت:

_ حمداني سيدي.

فقال:

_ عربي، وحمداني، ولا تريد أن تخدم وطنك، انقلع ! "(إبراهيم، 2017، ص149، 150) بسبب قيامه بتوسيط أحد الضباط لأن يكون جنديا ، وليس ضابط احتياط .

وأمام غياب ذكريات اللهو في مرحلة الطفولة كانت تفاصيل التسجيل بالمدرسة حاضرة بوفرة ، وهو معطى لساني يحيل على دلالة عميقة مفادها توافر عبد الله إبراهيم منذ نعومة أظفاره على القابليات والمؤهلات الذهنية والقدرات العقلية التي ستكون أساسا لما ما سيحققه من نجاحات في ميادين الفكر والبحث العلمي والنقد الأدبي ، فمرحلة التسجيل بالمدرسة كانت انعطافة مهمة في حياة عبد الله إبراهيم، فهي الموجة الأولى في مشواره، والأحداث التي واجهته بسبب التحاقه بالمدرسة متعددة، فهو ترك المدرسة بعد اليوم الأول بسبب عضة كلب " وجدتني في أول خريف عام 1963 التحق بحفنة من الطلاب متوجهَّين إلى مدرسة طينية في قرية "المرة" وفي اليوم التالي أرسلتني أمي إلى بيت في طرف قريتنا فيه طالب متقدَّم ليرشدني إلى مايجب فعله، وما إن غادرت بيتهم حتى دهمني كلبهم الخلاسي، وحاصرني في زاوية، ثم

اقتحمني هائجًا، فإذا بالدم يغمر بطني، وحُملتُ إلى البيت فزعًا، فقرَّرتْ أمي إيقافي عن شيء تفترسني الكلاب من أجله، فانتهت تجربتي المدرسية الأولى بعد يوم واحد" (إبراهيم، 2017، ص33)، ثم في السنة التالية بدأ تنقله بين القرية والمدينة، وكانت سببًا لاكتشاف الكثير من الأمور المجهولة والغريبة بالنسبة له وتشكيل أبعاد شخصيته؛ فلم يكن التسجيل في الدرسة حدثا عاديا لشخص بلغ السَّن القانوني للتعلم، وإنما كان تحولا مهما وانتقالا من بيئة إلى بيئة مختلفة تماما في كل شيء، فالصعوبة التي واجهتها الشخصية كانت في اختلاف تقاليد القرية عن تقاليد المدينة، وبدأت من ارتداء الزي المختلف " لبس البنطال"، بدلا من " الدشداشة " والتحول إلى صبي شبه متمدَّن، فهذا التحول البسيط كان بمثابة انسلاخ مؤلم ، وانتهاك لحرمة الذات القروية، "أحاول التوفيق بين زيِّ المدينة المشؤوم، وذاتي الطافحة بالخجل التي وجدت أن البنطال يفضحها، ويكشف ملامحها المستترة، فكأن عذريتي قد انتُهكت" (إبراهيم، 2017، ص33) وهو وصف عميق لقسوة الاحساس بالخجل، والشعور بالاستياء والضيق والحرج في موقف كاد يكون بسيطًا وطبيعيا كونه زيًا مدرسيًا متعارفا عليه، ولكن التعبير عنه بقوله(فكأن عذريتي انتهكت) أوحى بدلالات كثيرة، كثفت بمجملها مقدار الخجل والألم الذي انتابه ، وكان تحت سطوة عنفهما .

ولم يكن الزّيَّ هو الحاجز الوحيد الذي اصطدم به مع أجواء المدينة، بل كانت هناك حواجز أخرى مثل اللغة " أخذتُ أكافح من أجل تخطِّي حُبْستي، ومحنة كوني عربيًّا في وسط من الصغار لا أعرف لغته ؛ فمعظم أهل المدينة يتحدَّثون التركمانية، وأنا لا أعرفها، فبدوت مُخالفًا بين أقران لم يقبلوا بي كما أنا، ولم أُمنح إذْنًا للاندماج، فانزويت، واعتزلت التلاميذ "(إبراهيم، 2017، ص34) ثم كانت القومية حاجزا آخر، فلون بشرته كان سببا آخر لشعوره بالنبذ والرفض من قبلهم "بسحنهم الشقراء الدالَّة على أصولهم التركيَّة ينظرون إليَّ وافدًا غريبًا جاء من الريف. ربما يكون انفرادي قد زيَّن لي أنني مرفوض من الآخرين، ففي عالم الطفولة تتداخل المناكدات بالنبذ والإبعاد، ولم أنجُ من إحساس برفض الآخرين لي " (إبراهيم، 2017، ص34) فلم يتقبل مجتمع المدينة التركمانية ذاك العربي الصغير ، الذي لا يتحدث لغتهم ، ولا يشبههم في سحنة لونهم ؛ الأمر زاد من احساسه بالعزلة والرفض من قِبل الآخرين، وعدم السماح له بالاندماج معهم ، وما أن أخذ يكسر هذه الحواجز حتى بدت له مشكلة لم تخطر بباله؛ إذ اضطرت أمه إلى إعادته إلى القرية خوفا من الاعتداء عليه بعد أن حذرت امرأة عجوز أمه من احتمال تعرضه لاعتداء من قبل السكارى في أثناء عودته من المدرسة إلى بيت شقيقه ؛ كون طريق عودته يمر بمنطقة مهجورة " أُمرتُ بترك المدرسة، وأُرجعت إلى القرية، فقد رُئِي أنني على حافة الخطر، وكيف لأمي أن تتغاضى عن احتمالات خطيرة تتعاظم يومًا بعد يوم! " (إبراهيم، 2017، ص35، 36) ولكن الأمر لم يكن سهلًا وجميلًا بالنسبة له عند عودته إلى مدرسة القرية ، فوجد نفسه أمام اتهامات ونظرات بأنه طالب لا يستمر بالدراسة فهو هجرها مرتين ، وكذلك

أملاك والده كانت تهدد استمراره في الدراسة ، لذا لم تمنح المدرسة هذا الطالب أي أهمية في بادئ الأمر، فقد سُجل اسمه في ذيَّل سجلات المدرسة ، كونه غير مستقر فيها، وكذلك الكتب التي تسلمها كانت ممزقة ، وكأنه جاء ليحصل على بقايا التعليم ؛ فاستفزته هذه العقبات وعقد العزم على تحديها، واتخاذها سببا لأثبات ذاته في داخل المدرسة، فلم يكتفِ بالتعلم فقط ، وانما حاز على المرتبة الأولى بين أقرانه طوال السنوات الست. وساعده في هذا شغفه الكبير بالقراءة منذ وقت مبكر " شغفتُ بالقراءة منذ وقت مبكِّر، وفي أسابيع قليلة تعلَّمتُ أشكال الحروف ورسم بعض الكلمات"(إبراهيم،2017، ص37). وهذا الشغف والتعلم السريع لفت الانتباه إليه، وقربه من المعلمين في المدرسة "ربطتني علاقة جيدة بالمعلِّمين. كنت أبدو أكبر من عمري، وأكثر جرأة من غيري. وأضفى عليَّ تفوُّقي وضع الطالب المتميز في المدرسة، ثم أصبحت مضربًا للمثل في الاجتهاد داخل أسرتي، وفي المنطقة التي عشت فيها. وبسبب ذلك عهد المدير إليَّ تلاوة النشيد الصباحي"(إبراهيم،2017، ص41) وهكذا كانت مرحلة الطفولة حجر الأساس لذلك البناء الكبير، إذ أصبحت الذات شيئًا آخر غير الذي كانت عليه ذات يوم، لأن اعتراف الكاتب بطفولته أو محاولته بأن تكون شبه مجهولة عنده تبقى دائمًا سندًا قويًا للبناء. فقد وصف حياته منذ الطفولة بأنها " كانت مزيجا من أحداث، وأفكار، وأهواء، ولم يجهز لي أحد مسارها : لا أسرة ، ولا قبيلة ، ولا مجتمع ، ولا دولة" (إبراهيم، 2017، ص11) وهذا مؤشر على أنه شخصية نتاج مزيج من الأحداث والأفكار والرغبات ولكنها في الوقت ذاته لم تكن تابعة لإملاءات المؤسسات الاجتماعية سواء كانت أسرة أو قبيلة، ولا لإملاءات الدولة بمختلف أجهزتها ودوائرها، وقد اختط لذاته مسارا ثالثا خاصا بين مسار الحرية الشخصية المطلقة ومسار التبعية المطلقة للجماعة " فلم أنتمِ بصورة قاطعة لا إلى ذاتي برغباتها المفعمة بالطموح والفوضى، ولا إلى عالم الجماعة الممتثلة لمنظومة من القِيَم، والعقائد، والعادات؛ فكنت أمزج بين هذا وذاك، مُعْرضًا عمَّا لا أراه يناسبني، وملتذًّا بخرق إجماع الآخرين، حينما أراه نابعًا عن جهل "(إبراهيم، 2017، ص11) الأمر جعله يلازم الشعور منذ الطفولة باختلافه عن غيره ، ويتوهم " تميزا استثنائيا "(إبراهيم، 2017، ص11) تجلى في العمل على تأهيل ذاته ، وتأمين مقومات نجاحها في تحقيق رغباتها وطموحاتها ، وخاصة على مستوى العلم والمعرفة والثقافة والنقد الأدبي.

2-مرحلة المراهقة والشباب:

وهي مرحلة مختلفة عن مرحلة طفولته ، واقترنت بانتقاله وسكنه مع شقيقه في المدينة ؛ لإكمال دراسته الثانوية، فضلا عن اندماجه بالمجتمع المدني، لخصها بقوله " كنت آخذ بالقِيَم الدينية الكبرى، لكن قطيعة واضحة بيني وبين الطقوس والنصوص التي وجدتها موجَّهة لسواي. وخرَّجتُ كلَّ نزواتي على أنها من حقوقي الدنيوية .ولم أعنَ بالتضارب بين سلوكي العام والأعراف الدينية، فكانت ذاتي منسجمة مع نفسها،

تمضي في الطريق الذي عرفته منذ الصغر "(إبراهيم، 2017، ص112)، فدخوله في مغامرات عاطفية عدة حملته على الاعتراف بها بقوله "حينما أستعيد سنوات المراهقة يظهر لي أنني أعيش في حبكة نسائية معقدة" (إبراهيم، 2017، ص 48) بسبب تحرره من كل الاعراف والقناعات التي كانت تحول دون تورطه في العشق ، ولكنه مع هذا لم يكتشف سوى مساحة محدودة من جسد المرأة ، مؤكدا هذا باعترافه " لم أحظَ بامرأة ترغب بأكثر من القُبلة، واشتباك الأصابع " (إبراهيم، 2017، ص46، 47) وقد علل ذلك بطبيعته التي أبت الانسجام مع تناقضات هذا الميدان ، الذي يستدعي التنازل عن الكبرياء والهبوط إلى الابتذال، وهذا ما عجز عنه ولم يكن قادرا عليه " لم أنتهِ إلى حلِّ هذا التناقض ولا إلى إذابته، وأخفقت في إيجاد تآلف يريحني "(إبراهيم، 2017، ص 49) وقد كان للسينما الأثر الكبير في هذه المرحلة ، فقد استعار نماذجه النسائية بالدرجة الأولى من السينما "وسرعان ما أصبحت السينما عشقي الأول"(إبراهيم،2017، ص51) ولم يحدد سبب انجذابه لهذا العالم، واعترف بأنه مازال حائرًا ، وفيما إذا كانت تخيُّلاته هي التي قادته إلى السينما ؟ أم أنها هي من أوقدت تلك التخيلات؟ ، وفي سنته المتوسطة الثانية بدأ يخالط هواة الفن و، فيما لم يكن مسار الأدب واضحًا لديه، فأنه لم يترك مجالا من مجالات الفن إلا وخاض فيه تجربة، وقد ابتدأ بالمسرح حين شارك في الفرقة المسرحية المدرسية ، ولكنه سرعان ما اكتشف أن هذا الطريق ليس طريقه، ثم سلك طريق الشعر وحاول أن يكتب شيئًا ، ولكنه لم يكتب سوى خواطر متفرقة كانت نتيجة لمطالعته العديد من دواوين الشعراء المعروفين ، أمثال المتنبي والسياب ومحمود درويش وغيرهم. وفي وقت لاحق اكتشف أنها لم تكن سوى محاكاة لما اطلع عليه في تلك الدواوين. وقد نُشرت بعض من تلك الخواطر في بعض الصحف والمجلات الليبية ، ونشرت مجلة (الثقافة) قصيدة كاملة له. وكان لهذا الاختلاط أثر بالغ في تنوع الثقافات والنشاطات الأدبية التي شارك فيها بنشاطه المدرسي، وقد استمر هذا التثاقف بينه وبين هؤلاء الطلاب مدة ليست بقصيرة ، وقد وفرت هذه الصحبة مناخًا ثقافيًا أحدث تحولًا غير معهود في شخصية المؤلف، "أشعر بأن تحوُّلًا ما وقع في داخلي خرَّب بداهتي وعفوِّيتي، فلم أعد قرويًّا غَريرًا، ولكنني لم أصبح بعدُ مدينيًّا حصيفًا، فقد انقطعت عن حال ولم أمد جذوري في أخرى"(إبراهيم، 2017، ص67) وبحسب هذا الاعتراف بالامتزاج الذي يشعر به بداخله، فلم يحتفظ بقرويته ولا تمكن أن يتمدن بشكل تام. لكنه لم يتوقف عن التواصل مع هذه الاوساط ؛ وفضلا عن هذا مارس نشاطات ثقافية أخرى في مرحلة مبكرة من عمره ، وتمثلت بنشرة مدرسية عرفت بـ(555) أي الخمسات الثلاثة وهو عنوان قصيدة أو بيان يعود إلى (بريتون) مؤسس السريالية، فقد شغف بالأدب الغربي وتعلق به كثيرًا، وأعجب بالسريالية التي شاعت في ذلك الوقت، وكان للرواية نصيب من تلك التجارب العديدة، ولم تكلل تجربة الرواية بالنجاح ؛ لأنها لم تكن سوى اختصار لأحد الأفلام الهندية التي شاهدها من قبل. وبعد أن تأكد بأنه لم يحقق في عالم الشعر والتمثيل والمسرح ما

كان يطمح إليه ؛ رأى التحول نحو كتابة القصة القصيرة ، فكتب مجموعة قصصية يتيمة بعنوان (الطوفان)، ولشدة تعلقه بالأدب الغربي تأثر بكل من الرومانسيين والرمزيين الفرنسيين (رامبو، مالارميه، فاليري، بيرس، ويتمان إيلوار، إليوت، بودلير) وكان اهتمامه وتعلقه الأكبر من نصيب (إليوت، وبودلير) وتنقل بين ما تركه الأول من(أغنية حب لألفرد بروفروك، مرورًا بـ أربعاء الرماد، والأرض الخراب، وانتهاء بـ الرجال الجوف)، وجمع كل ما ترجم للثاني وبالأخص ديوان (أزهار الشر)، وكان هذا التأثر واضحًا في أفكاره وميوله، حتى أصبح هناك تطابق _ كما يشعر_ بينه وبين هؤلاء. ولكنه غير توجهه واهتمامه لاحقا بعد تعرفه على جماعة من الأدباء العراقيين والعرب ، فأصبح للأدب العربي نصيب من اهتمامه وبدأ البحث عمَّا يلتصق بفرديته، ويغذيها، ويقويها، ويضفي عليها معنى، فوجد ضالته في الكتاب ، ومنذ ذلك الزمن ظل يرافقه ، ولم يخذل أحدهما الآخر. وبعد الاطلاع على دواوين الشعر، والمجموعات القصصية، والروايات، والقصائد النثرية، ولقائه بجماعة كركوك الأدبية الأولى المتمثلة بكل من (جان دمُّو، وحمزة حمامجي، وإسماعيل إبراهيم، ومحمد بدر، وعواد علي، وجليل القيسي، سركون بولص، فاضل العزاوي، أنور الغساني، مؤيد الراوي، صلاح فائق، يوسف الحيدري، يوسف سعيد) بدا تأثر المؤلف بهاتين المجموعتين واضحًا، وكان كل منهم ينتقد الأخر نقدًا بناءً؛ ليقوم كل منهم الآخر، ولطالما كان المؤلف ينقد الأخرين ويفصح عن رأيه فيهم وفي تجاربهم؛ ولذا بدت سيرة (أمواج) " سرد مرتبط بخيط شيق فيه من غواية الرواية ومتعتها مايسحب القارئ خلف اللغة وسرودها ، وفيها أيضا نقد كثير، نقد أدبي للرواية العراقية والقصة والشعر من خلال المرور بشخصيات أدبية والتعليق على منجزاتهم بأريحية عالية" (الساعدي، 2022، ص197) واستمر عبد الله إبراهيم بالتفوق والنجاح والتميز بين اقرانه في دراسته الثانوية إلى أن وصل إلى الدراسة الجامعية الأولية ، وبدأت موجة أخرى في حياته، بين مدينة المعز(محاولته لإكمال دراسته في مصر)، وبين الحدباء، و مدينة السياب، انتقالات فرضتها ظروف مختلفة تحكم بها الواقع السياسي، والقرارات التي نمت على القومية والتمايز بين افراد المجتمع الواحد ؛ إذ قدم عبد الله إبراهيم إلى كلية الحقوق لدراسة القانون على نفقته الخاصة في إحدى الجامعات المصرية (عين شمس) ، ولكن سرعان ما انتهى الأمر بعودته إلى العراق مرة أخرى بعدما تلقى اتصالا من أخيه الكبير يخبره بأنه تم قبوله في كلية القانون في بغداد، ليجد نفسه مقبولا في كلية التربية في جامعة الموصل، " واتَّجهت مسرعًا إلى جامعة الموصل، خشية حرماني من الدراسة التي بدأتْ منذ شهر، فعدتُ أسعى إلى الجامعة التي هربتُ منها، وأنا في ارتياع من التجربة التي مررتُ بها، وبي رغبة لأن أدمِّر نفسي(إبراهيم، 2017، ص 103، 104) وانتهى الامر بنقله قسرا مع سبعين طالبا إلى جامعة البصرة استنادا إلى سياسات التبادل الطلابي بين الجامعتين التي اعتمدها النظام السابق ، وبذا شهدت حياة عبد الله إبراهيم الجامعية في الدراسات الأولية

انتقالات من مدينة إلى مدينة، ومن جامعة إلى أخرى، من قسم إلى قسم آخر ، فقد التحق في بادئ الأمر بقسم اللغة الإنجليزية في جامعة البصرة، لكن رغبته في لفت الأنظار إليه حملته على تقديم قصة بعنوان " صخب داخلي" إلى رئيس قسم اللغة العربية بكلية التربية في جامعة البصرة " نوري العوادي" وكان قد كتبها قبل أن يذهب إلى القاهرة متأثرا برواية " الصخب والعنف" فعرض عليه العوادي الانتقال إلى قسم اللغة العربية وعدم إضاعة وقته وموهبته في قسم اللغة الإنجليزية ؛ لأن مكانه الصحيح في قسم اللغة العربية بحسب رأيه ، ولم يتقبل عبد الله إبراهيم حينها الأمر بسهولة " وجدتني غريبًا في قسم العربية، فما كنا ندرسه لا صلة له بتصوراتي الأدبية. ولقد وصفَ لي العوَّادي سرابًا، ودعاني إلى مأدبة غربان"(إبراهيم، 2017، ص107) لأنه لم يجد ما كان يبحث عنه ويشبع ذلك الطموح، والتفرد، وخلق عالم يليق به ولم يهون هذا الإحساس عليه سوى حبه الأدب الجاهلي ، وأستاذه الدكتور مصطفى جياوك ، الذي بدا له أستاذا مختلفا في تمكنه من اختصاصه ، وحفظه الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث النبوي، فضلا عن تحفظه على أفكاره الخلافية، التي أسره واحدة منها، وظلت عالقه بذهنه، بعد أن أوضح له أُثر القرآن الكريم في جمود اللغة العربية(إبراهيم،2017، ص108) فكان هذا كله سببا في تعلق عبد الله إبراهيم بحب الأدب الجاهلي ، والاستماع إلى اقتراح أحد زملائه عليه بالانتقال إلى جامعة بغداد " وفي جلسة ليلية عبَّرت فيها لأصدقاء لي عن شكواي من أجواء البصرة، فقاطعني أحدهم: ما دمت غير مرتاح فيها لماذا لا تنتقل إلى جامعة بغداد، نتيجتك العالية تؤهِّلك لذلك؟"(إبراهيم، 2017، ص112) فالتحق بالسنة الجامعية الثالثة في جامعة بغداد وانتهى المطاف في مدينة السلام التي لم تشهد السلام يومًا بحسب رأيه.

وبعد إكمال الدراسة الجامعية الأولية وجد نفسه ملزما بالالتحاق بالجيش العراقي، فبدأت موجة جديدة مختلفة تمامًا عن أهوائه وأفكاره، فقد أخرجته هذه الأحداث من فرديته الأدبية الضيقة، إلى الانتماء ببطء للجماعة الوطنية، والتفكير حول الخطر المهدد للوحدة الوطنية القادم من خلف الحدود. فقد أُلحق بكلية الضباط الاحتياط مجنَّدًا لقيادة وحدة صغيرة، وكان يفضل أن يكون جنديًا ، وليس ضابطًا ليتمكن من إكمال دراسته العليا إلا أن الأوامر صدرت بأن يلتحق بكلية الضباط الاحتياط ، وما كان عليه إلا أن ينفذ الأمر أو يتعرض لمحاكمة عسكرية، " وخلال الأيام الأولى بدأ لب الماضي يضمحل وصار ذكرى ، ولم يكن يعبأ بشيء " سوى الانشغال الجسدي والذهني والنفسي باللحظة الحاضرة "(إبراهيم، 2017، ص152) التي كانت تجريدا ممنهجا لشخصية المرء باستئصال ماضيه إلى الحد الذي جعله يرتاب بكونه " بشرا ، انخفض وزني، فأمسيت مهزولًا ، وأقرع، وعرقًا مجتثًا من دِمن ومُلقى في قمامة، وتحوَّل تفكيري في غضون شهرين إلى نمط مقنَّن ، يقوم على القوة ، والبطش، والعجرفة، والقتل .... أكثر الصعاب أذى هو القبول الذهني، والجسدي، والنفسي، لعملية التحول إلى شخصية أخرى، فهو مسخٌ بكل ما تعنيه الكلمة"(إبراهيم،

2017، ص151) فهي مرحلة مختلفة عمّا سبقتها فقد حصل تغير كبير في شكله وتفكيره وقد اعترف بهذا فقال" أفقدني الجيش نصيبًا من لُبابي، وجرَّني إلى عالم القسوة جرًّا فتضاءل ما سواه، وقبع في منطقة متوارية، وما خطر اي أنني سوف أُختبر في غير ما كنت أتوقَّع، ولعله قد ترك أثرًا في حياتي خلال السنوات اللاحقة، فتملَّكني قبل أن أسعى للتخلُّص منه. وكانت تجربة مُرَّة استغرقتني وقتًا طويًا"(إبراهيم، 2017، ص 161) معبرا عن عمق شعور بالأذى النفسي الذي عاشه، ومحاولته التخلص من آثار هذه التجربة بعد ما انتهت.

فقد عاصر عبد الله إبراهيم ، أحداثا وتطورات سياسية وقومية كثيرة، وقد اتخذ موقف الحياد في بعض الأحيان مما جري حوله من اضطرابات، وذلك من خلال نقله للأحداث بلغة المشاهد فقط، فلم يصدر أي حكم أو نقد أو رفض أو قبول في بعض المواقف، وفي أحيانٍ أخرى كان له نقد سري _ كما ذكره_ " من الصحيح أن لي نقدي السرّي للنظام في العراق الذي كان يأخذ شكل مسارات مكتومة، لكنني انحزت إلى بلادي بدواعٍ تغذّيت عليها: الحفاظ على وطني من المدِّ الديني_ المذهبي الذي يثير ازدرائي"(إبراهيم، 2017، ص122) فروح المواطنة التي ترفض التمايز العرقي والمذهبي لازمته ، ولم تفارقه منذ طفولته إلى شبابه، وأن سبب عدم تطرقه لهذه الأمور يعود إلى وسطه العائلي الذي كان خاليا من ثقافة الطوائف والأعراق، على الرغم من معاصرته حقبة زمنية ظل المرء فيها يُعرّف بقوميته، أو دينه، أو مذهبه ؛ ولكن عبد الله إبراهيم ظل يعتقد بأن الأغطية المذهبية أعراف اجتماعية لا تفاضل فيها وهي سبَّة ومنقصة.

وبعد أن تأزمت الأحداث السياسية في البلاد ، وكان حينها ضابطا احتياطا في صفوف الجيش العراقي اعترف بجهله في الصراعات السياسية ، والتدرج المنهجي الذي يتبعه النظام حينها، فهو من جيل نشأ في ثقافة البُعد الواحد، ولم يشهد التنوعات الايديولوجية للجيل الذي عاش قبله، وفضلا عن هذا فأن بعده عن السياسية وعدم الخوض في مجالها لم يمكنه من اكتشاف الوجه الآخر لها، ولم يفكر يومًا بالتنوع في عقائد السياسة ؛ فكان من الطبيعي جدا أن يتأخر في إدراك هذا ، ويعي مشكلة تأثره بثقافة الاستبداد التي حالت دون معرفة ما لا يريده النظام ، وقد اختلف تفكير عبد الله إبراهيم ، وبدأ يضع تفسيرات مختلفة عما سبق لكل ما دار حوله، بما في ذلك الحرب العراقية الإيرانية ، وغزو العراق للكويت ، وكذلك القصف الأمريكي للعراق في التسعينيات، واحتلال قوات التحالف الدولي اللعراق بحجة تدمير أسلحة الدمار الشامل ، وإرهاب داعش ؛ لأنه يمقت التحيزات الزائفة، والقول بالوعي الأصيل الذي يهبط كالوحي فتلك أكذوبة _ كما يذكرها_ و يكره أن تغلب الانتماءات العِرْقية، والمذهبية، فكرة الانتماء الوطني، ويرى أنها عودة الى عصر المِلل والنَّحَل الذي يفضي الاحتراب، ثم الانقسام(إبراهيم، 2017، ص140).

3- عبد الله إبراهيم أستاذا وناقدا ومفكرا :

بعد خلعه للبذلة العسكرية اتجه عبد الله إبراهيم لجامعة بغداد طالبًا للماجستير في كلية الآداب، إلا أنه بُلغ بالالتحاق رسميًا للدراسة في الخريف، وكان أمامه سبعة أشهر لأعداد نفسه للدراسة، وبدأت خطواته باتجاه الدراسات السردية، وكانت خياراته (السَّرد. الموضوعات البناء الفني لملحمة كلكامش. البناء الفني للقصة العراقية القصيرة. البنية الرمزية في القصة العربية القصيرة. الموت في الرواية العربية)، واستمر الأمر في تغليب على آخر، لكن بوصلة افكاره جذبته إلى ملحمة كلكامش، وفي أسبوعه الأول حمل أفكاره الطرية ، وانطلق بها إلى بغداد ، ولكنه صُدِمَ بردة فعل الدكتور داود سلُّوم ، لأنه " فغر فاه، وحدَّق بي بازدراء، واستنكار، واستصغار " (إبراهيم، 2017، ص184) بعد أن عرض عليه الموضوعات التي ينوي دراسة أحدها ، وأجهض أحلامه ، وكبح حماسته حين " بدَّد جوابه اليابس كل آمالي، وهدَّم تخيُّلاتي"(إبراهيم، 2017، ص185) وبعد ست سنوات وقف الدكتور داود سلُّوم الموقف نفسه ، حينما امتنع عن التوقيع على إجازة أطروحة الدكتوراه عن السَّردية العربية لعبد الله إبراهيم " ففي بيته العتيق، قال يحاججني: لو اجتمع المستشرقون كلهم للإساءة إلى الثقافة العربية، ما بلغت إساءتهم لها ما قمت به في أطروحتك هذه! ورفض التصديق على محضر المناقشة الذي وقعه المناقشون الآخرون، ما دعاني إلى تمزيق الصفحات التي كتبتها عن موقف الرسول من الكتابة، وأقدِّم له الأصل الممزَّق للأطروحة ليضع توقيعه على المحضر" (إبراهيم، 2017، ص185) وبعد إكمال دراسته للماجستير والدكتوراه، أصبح استاذًا في الجامعة المستنصرية، وفي أكثر من جامعة بين العراق ، وليبيا، وقطر. وشارك في العديد من المؤتمرات العربية والندوات والملتقيات الأدبية والفكرية، وقد توزع اهتمامه بين الكتابة والقراءة وإثبات الذات فكان برنامجه حسب قوله " مزدحمًا بين الكلية، والمكتبات، والصحف، واتحاد الأدباء، ومراكز الفنون. وغطست في قراءة مصادر النقد الحديث، وانفتحت لي أبواب الدراسات السَّردية، والمناهج النَّقدية الجديدة "(إبراهيم، 2017، ص199) فقد" أمضى عبد الله إبراهيم زهرة عمره باحثا، ومتقصّيًا، ومنقّبًا ، يتفقد الموارد، ويتتّبع الحكايات، ويتحرى النقل، ويفتش في المقولات. يتفحصّ الشروح، منقّبًا في الروايات والأخبار"(الربيعي،2022، ص9) فدخوله عالم السرد والعودة إلى دراسة السرد العربي وتحليله، عن طريق دراسة (سجع الكهان، والقصص القرآني، والحكاية الخرافية، والمقامات، والف ليلة وليلة، والسِّيَر الشعبية)، خير دليل على تقصيه وتفقده الموارد وتتبعه الحكايات،وتحري النقل والتفتيش في المقولات، وكانت الغاية من هذا المشروع كشف أنظمة البناء في السرد العربي القديم، واستكمال المشروع بدراسة السردية العربية الحديثة، فـ"عبد الله إبراهيم باحث لا يخشى في المعرفة لومة لائم، ولا تفزعه الفكرة ، ولا تروعّه المقولات الكبرى، ولا ترهبه الأسماء الراسخة، ولا تفزعه

هالة المركزيات" (الربيعي،2022، ص8) وهذا ماجعله يمضي بمشروع نقد المركزيات: المركزية الدينية، والمركزية العِرْقية، والمركزية الثقافية، واقتراح تفكيكها؛ لإيمانه بأنها تتلاعب بالانتماءات الطبيعية للإنسان.

وكان تأثير الثقافة الاجنبية واضحا في انطلاقته النقدية ، وسرعان ما تجلى في تأسيس جماعة نقدية باسم(جماعة النقد الجديد في العراق)، التي كانت متأثرة بشكل واضح بـ(حلقة موسكو) و(حلقة براغ)، وكان هذا المشروع يهدف إلى الارتقاء بالممارسة النقدية في العراق، والانخراط في تجديد الفكر النقدي. فالنقد لدى عبد الله إبراهيم " رسالة معرفية خالصة منّقاة،لا شوائب فيها، ولا زيادات، لا تدجين فيها، ولا إخضاعات"(الربيعي، 2022،ص9) وكانت هناك جماعة أخرى عُنيت بدراسة (الخطاب الجمالي)، من خلال محاضرات قدمها أساتذة متخصصون، منهم (شاكر حسن آل سعيد، وفاضل ثامر، وسعيد الغانمي، وحاتم الصكَر)، و لأن النقد "عنده يقوم على ركيزتين : (الرؤية والمنهج)، فتراه متطلّعا نحو تسخير كل مالديه من قراءات، وجهود، ورؤى، وتصورات، سعيا نحو لجم تسلل الواهن والضعيف، وكبح جماح الأوهام والخروقات" (الربيعي، 2022، ص9) وهذا ما دفعه إلى إلقاء عدد من المحاضرات في جماليات الشعر، والسرد، والمسرح، والفن التشكيلي، والسينما. فبعد كل هذه السنوات في عالم القراءة، والبحث، والكتابة، والترحال من بلد إلى بلد، والانفتاح الثقافي تمكن من اقتحام عالم السرد، والكشف عن أنظمة البناء في السرديات العربية القديمة والحديثة." استطاع أن ينقش اسمه في مسلّة المعرفة العربية، حتى زحفت نحوه أرفع الجوائز العلمية والثقافية" (الربيعي، 2022، ص9)؛إذ فاز بجائزة شومان للعلوم الإنسانية عام 1997، وبجائزة الشيخ زايد للدراسات النقدية، الدورة السابعة في أبريل 2013م، وبجائزة الملك فيصل العالمية في حقل " اللغة العربية والأدب" عام 2014م في مجال الدراسات النقدية.

ولأن تمثيل الذات لاينفصل عن تمثيل الآخر، وأننا نمثل من نكون حين نمثل من لا نكون أيضا، فأن بناء الأنا في السيرة الذاتية ينمو ويتكامل من خلال علاقتها بالآخر(رووكي، 2002، ص20) ومن هنا كان لابد من الوقوف على الشخصيات الأخرى التي أقامت معها شخصية عبد الله إبراهيم في (أمواج)علاقات مختلفة في طبيعتها ، وفي مستوياتها ، وغاياتها ؛ لأن بعضها اجتماعي ، وبعضها ثقافي ، وبعضها معمق وبعضها عابر ، وبعضها دائم ، وبعضها مؤقت ، ولكنها في النهاية كانت جزءا من عملية بناء أبعاد شخصية عبد الله إبراهيم وتشكلها مع مرور الزمن.

ب- عائلته:

1- الأب:

مثّل الأب أسطورة العائلة ؛ لأنه بحسب البعد الخارجي شيخ ، نحيل، وطويل، صامت ، ذو لحية بيضاء ، ووجه متغضن وعينان حادتان، غامضتان، محيرتان، وفيهما حنان بعيد وشحيح لم يتمكن من البوح به ؛ فكان على المستوى الداخلي أبا " بلا عاطفة"(إبراهيم، 2017، ص20) وحين قضى نحبه كان دون السبعين، والمفارقة الكبيرة في هذا أنه لم يخلف في ذاكرة المؤلف سوى افتقاد الشعور بدفء حنانه ، ورعايته وانشغاله عن عائلته " لم يلمس أبي خدي بتحنان، وما ضمني إليه ، وما تسرب إلي منه أي عطف فربما أكون ظلا له ، بل انا كذلك " (إبراهيم، 2017، ص21) في اعتراف صريح ألمح فيه عبد الله إبراهيم مقدما إلى أحد الابعاد الداخلية لشخصيته ، وبين سبب تشكله على النحو الذي ظل يتجلى من حين لآخر في صرامة تعامله وشدته ؛ وقد أكد عبد الله إبراهيم هذا مرة أخرى حين اعترف بافتقاده حنان والده، وانشغاله عنه، وما خلفه هذا من صدع بالغ في نفسه " فصلتني عنه هوة عميقة ، لم أندرج في عالمه المملوء بأشياء كثيرة أهم مني، كان مشغولا بالمذياع الخشبي "(إبراهيم، 2017، ص20) وقد انعكس هذا كله على طريقة تعامله مع أبنائه؛ إذ بدا عبد الله إبراهيم يشبه الأب الصارم في تعامله مع أولاده؛" إذ أكد" ومنذ الصفحات الأولى للسيرة أنه ربما توارث شيئًا من هذا الجمود العاطفي تجاه عائلته عن أبيه "(الدليمي،2022،ص201) فكان شحيح العاطفة، ومنشغلا بعالمه عن عائلته في الظاهر ، وإن منحهم كل شيء في الباطن.

2-الأم:

لقد كان دور الأم في سيرة عبد الله إبراهيم مختلفا تمامًا عن دور الأب، إذ اتخذت" الأم منزلة مركزية ضابطة لإيقاع معيشة العائلة " (الدليمي، 2022،ص201) ، إذ كانت الانتماء، والاحتواء ولم يعوض مكانها أحد، فكان تأثيرها واضحا في حياة ابنها عبد الله إبراهيم " ظهر تأثير أمي عليَّ في حياة أبي"(إبراهيم، 2017، ص25) وازداد وضوحًا بعد وفاة الأب، ، لكن إصابتها بالسرطان جعل عبد الله إبراهيم يشهد ذبولها بسرعة، ويشاهد آلامها " كنت الشاهد على ذوبانها، وتلاشي ابتسامتها"(إبراهيم، 2017، ص28) ومراقبة موتها بعد أن أكل المرض جسدها، وأصبحت كومة عظام، بسبب تآكل وجهها، وتحول ثغرها إلى كهف مليء بالثقوب والخروم، حتى أصبح موتها البطيء عذابًا تمرنت عليه العائلة، وأن الحادثة التي تعرضت لها الأم كانت شبيها إلى حد ما بالحادثة التي أودت بحياة الأب. فنادرًا ما كانت الأسرة تربي الأبقار، لكن شاءت الأقدار أن تكون هذه البقرة الوحيدة، هي السبب في وفاة الأب، ثم تكون السبب الأول في إصابة الأم بمرض السرطان الذي أنهى حياتها بطريقة مؤثرة!! وقد أجاد عبد الله إبراهيم في وصف علاقتها به تارة بقولها له (أنت كبير ياصغيري) وتارة بما فعلته في أثناء زيارته لها في مستشفى كركوك، وكيف ترجمت هذا بتقبيله وشمه وانهمار دموعها السخية على وجهه ؛ لأن عبد الله إبراهيم كان قريبا منها في كل مراحل مرضها وعلاجها ، فضلا عن لحظات احتضارها ووفاتها، التي أطفأت كل شيء في حياته، وتركته يجابه مخاطر

الحياة وحيدا بلا سند يحميه " فخلتني عاريًا، ووحيدًا، وتائهًا، ودرعي الوحيد تمزَّقت"(إبراهيم، 2017، ص27) فبات عليه أن يتحمل المسؤولية في وقت مبكر "دفعني موتها إلى مواجهة مصيري، فقد تدرَّبتُ عليه بجوارها، وصرت بعدها أمام الحقيقة، ولكن في أعمق نقطة، نقطة الارتياب والحنين"(إبراهيم،2017، ص29) وبهذا أفصح عبد الله إبراهيم عن مكانة أمه ، واعترف بأنها تبوَّأت المكانة الأولى في حياته، ومضت تنتزع الجزء الأكبر من اهتمامه، وبعد فقدانها صار" من المأثور عني كثرة الإطراء عمَّا أدين به لأمي من أفضال، ومهما جهدت لأجد في تلك الأفضال نوعًا من السلوى تتيح لي تقدير أهميتها، فإنما وجدتها أفضالًا عاطفية أغدقتني بها صغيرًا في جو عائلي وقروي جافى هذه المشاعر، وتنكَّر لها، وهذا ما كنت بحاجة إليه، ولازمتني تلك الحاجة طويلًا، وما شعرت أنني ارتويت من امرأة غير أمي "(إبراهيم، 2017، ص30) وفي هذا النص اختصر المؤلف كل مشاعر الحرمان التي عاشها بسبب فقدان الأم ، وهو في الثالثة عشرة من عمره، ليتأكد من هذا كله أن ظروف نشأة عبد الله إبراهيم لم تكن سهلة ؛ إذ أحدثت صدعا قويا في حياته بعد وفاة والده المبكرة ، ووفاة والدته بعد معاناتها آلام مرض السرطان الموجعة والمبرحة_ و" هكذا تأتي وفاة الأب لتشكل الصدمة الأولى في الوعي المبكر من حياته حين كان طفلًا. أما موت الأم يمثل تجربة أكثر إيلامًا وقسوة " (محمد ، 2022، ص226)؛ مخلفة حزنًا عميقًا في قلبه، ثم تجلى ذلك بتقديم البعد المادي لشخصية والده بشكل موجز ، مع الاكتفاء بالإشارة الموجزة في وصف البعد الداخلي له، ولعل هذا بسبب ضعف حضور والده في حياته، وانحسار أثره فيها، وقصر الزمن الذي جمعه به، مقابل التركيز بشكل مطول في تقديم شخصية والدته؛ فقد ركز في بادئ الأمر على تقديم البعد المادي لها ، من خلال وصف أصابتها بمرض السرطان بعد تعرضها لرفسة عجل البقرة التي كانوا يربونها، وما تسبب به من آلام لها ولعائلتها؛ فهي لم تترك لابنها عبد الله إبراهيم سوى خيار ملاحقة تفاصيل مرضها العضال، ووصف تلاشيها شيئًا فشيئًا حتى وفاتها_ بأسلوب مؤثر جدا ؛ لينتقل بعد هذا السرد الطويل إلى وصف مشاعرها تجاهه ، وترجمتها ذلك بذرف دموعها السخية كلما رأته، وأثرها البالغ في اقناع والده بإرساله إلى المدرسة، وما شكله هذا من أساس لكل ما سيحققه من نجاحات، ناهيك عن استمراها في رعايته التي حملتها ذات يوم على اتخاذ قرار ترك مدرسته في كركوك ، والعودة به إلى القرية ؛ خشية تعرضه لاعتداء السكارى عليه.

ج-الأصدقاء :

1- جماعة كركوك الأولى :

لم تنتزع جماعة كركوك الأدبية الثانية المكانة الرفيعة التي حازتها جماعة كركوك الأدبية الأولى بعد " أن جعل تاريخ الأدب الانتماءَ إلى الجماعة الأولى فخرًا" (إبراهيم،2017، ص81) لتشكلها من جليل القيسي

، وسركون بولص ، وفاضل العزاوي ، وجان دمو ، وأنور الغساني ، ومؤيد الراوي ، وصلاح فائق ، ويوسف الحيدري ، ويوسف سعيد ، وغيرهم من الأدباء الذين التحقوا بها فيما بعد ، ولقد ترك هؤلاء الأصدقاء وغيرهم درجات متفاوتة من التأثير في حياة عبد الله إبراهيم، واعترف بهذا قائلا " ولم يكن ثمة مسار أتخذه للمضيّ في حياتي، فقدَّمت جماعة كركوك لي عصارة تجربتها :الضياع، والسخط، وعشق التخيُّلات الأدبية." (إبراهيم، 2017، ص95) وكان ذلك هذا لتوجهاتهم وخلفياتهم الثقافية والنقدية والعلمية؛ فمنهم من ظل متواصلا معه ولم ينقطع عنه، ومنهم من كان دون ذلك، وبحسب ما ورد في سيرة أمواج بدا صديقه(زكي حميد) في مقدمة أصدقاء الدكتور عبد الله إبراهيم المقربين والمؤثرين؛ إذ كان لرأيه في كتاباته الأثر البالغ في وعي الدكتور عبد الله إبراهيم بعد تشخيص ضعفه في كتابة الرواية، وتنبيهه على قدرته في مجال النقد، ولطالما كان يخضع للرأي الفردي النابع من ذاته، ولايمنح أهمية للرأي الجماعي، ولكن زكي حميد استطاع أن يكسر ذلك الطوق ويفتح آفق النقد أمامه" أيقضني زكي حميد من رُقاد عميق" (إبراهيم، 2017، ص62) أما (عواد علي) فكان له النصيب الأكبر من الاستمرار مع عبد الله إبراهيم في مشواره ؛ فقد استمرت العلاقة حتى مع الانقطاعات بسبب ظروف الحياة، والانعزال من أجل التقدم ، وكان هناك توافق فكري عميق بينهما " أما علي عواد وأنا، فكنَّا مراهَقْين رماديَّيْن، نسبح في سراب الأدب، والأوهام الكبيرة، ولا نؤمن بفكرة، ولا نأخذ بمعتقد، ولا نعرف ماذا نريد، ولا هدف لنا، وقد استأصلت الفوضى منَّا أي أمل بالنجاة." (إبراهيم، 2017، ص82) واشترك (عواد علي) في الجماعات الأدبية التي شغلتهم في تلك المرحلة، وأمضى عواد طفولته في محلة (بريادي) التي يمتزج فيها التركمان بالأكراد بالعرب في بيت يعود ليهودي هُجِّر إلى فلسطين نهاية الاربعينيات. وكان البيت خانا كبيرا تسكنه ست عشرة عائلة؛ فامتزج في مجتمع متعدد اللغات، والأعراق. وقد اجتمع عبد الله إبراهيم مع عواد في مرحلة المتوسطة، وعاشا الظروف ذاتها، عندما نزحت عوائلهم إلى المدينة، وتعلق عواد بلقبه (المعماري)، لكن للصحبة أثر ، فكما تخلى عبد الله إبراهيم عن لقبه للتحرر من كل الانتماءات المزيفة _ كما يرى_ فقد تخلى عواد عن ذلك اللقب لأنها لا توافق الرؤى الفكرية التي يؤمنا بها.

تعلق عواد بالتمثيل المسرحي، وكان مولعا بارتداء ملابس صارخة الألوان في مراهقته، كما كان يُعنى بأناقته، وهندامه، وتسريحة شعره الطويل الذي تلاشى بعد ذلك. وعرف فيما بعد ناقدًا مسرحيًا ، وانجز أطروحة عن السيميولوجيا في المسرح العراقي، ثم أستاذًا في جامعة بابل، ثم غادر إلى الأردن حيث عمل باحثًا في المعهد الملكي للدراسات الدينية، ثم هاجر إلى كندا، ومُنح جنسيتها. وأصبح خبيرًا إعلاميًّا في المعهد الدبلوماسي في الدوحة بدعوة من عبد الله إبراهيم الذي استقدمه للدوحة، لكنه فقد وظيفته بعد أشهر، وترك قطر بطريقة غامضة. وكان لعواد دور مهم في الرد على كل من نقد حركة النقد الجديدة في العراق ،

التي أسسها كل من عواد وعبد الله إبراهيم وسعيد الغانمي ؛ إذ اكتفى عبد الله إبراهيم برد كل من عواد والغانمي ، والتزم هو الصمت.

وكان فاروق مصطفى ضمن المجموعة الأدبية الأولى ، ولكنه ظل في منأى عن صخبها ، فلم يخالطهم في المقاهي، وإنْ كان ينقضُّ على العُصبة بين حين وآخر، لأنه كان يتوارى كثيرًا عن الجماعة، ولكنه لم ينقطع، وتميز بالأناقة، والفصاحة، وأكثر الجماعة معرفة بالعربية، لأنه اختص بها في جامعة بغداد نحو عشر سنين، ودرَّسها في الجزائر ضمن حملة التعريب التي اعقبت الاستقلال، وتميز أيضًا بأنه صاحب السيارة البرتقالية الصغيرة التي تجوب الشوارع بلونها الفريد الذي لا تشاركها فيه أخرى. وكان شخصية كثيرة السفر والترحال فهو يطوف الأناضول، والسُلاف، والإغريق، والإسبان غير عابئ بما عليه الجماعة، معبرا عن أبعاد شخصيته الداخلية ، فضلا عن ابعادها الخارجية من خلال هذا التمييز. وقد جمعته المواقف العديدة بعبد الله إبراهيم في أوقات متفرقة بعد ثلاثة عقود من عمر الجماعة ، ومن ذلك لقاؤهما الذي دام لساعات في رحلة إلى السليمانية ، وقد انقضى الوقت فيها بالحديث بينهم عن الكتب التي تمت قراءتها خلال هذه السنوات، ولسان حالهما يقول لاشغل لهم إلا الأدب والكتب وكل ما يتعلق بها، فقد كتب فاروق قصائد أنيقة في عدد من الدواوين الصغيرة، وأصدر أكثر من كتاب عن جماعة كركوك الأولى التي عاصرها قبل أن تطويها يد الأيام. وقد حمل هذا عبد الله إبراهيم على وصف هذه الشخصية بمختلف المراحل العمرية ، فقال فيه" وأمسى فاروق شيخًا نحيلًا، رقيق البنية، وقد جاوز السبعين، فإنه احتفظ بأناقته، وعشقه المفرط للكتب، "وكان قريبًا بما يكفي، وبعيدًا بما يرضي".(إبراهيم،2017، ص81) وهكذا كان فاروق البعيد القريب أحد الشخصيات المؤثرة في حياة عبد الله إبراهيم وتشكيل شخصيته .

أما إسماعيل إبراهيم وحمزة حمامجي فقد شكلا ثنائيًا في مختلف الأزمان، فخاضا تجربتين متناقضتين، إذ انتميا إلى الإخوان المسلمين أولًا، في الستينيات، ثم انتقلا بعد ذلك إلى الحزب الشيوعي، وكانا محبطين، وجائعين، يجترَّان ذكريات الماضي بلا كّلل، ويتسكَّعان على غير هدى كثنائي لا ينفكُّ أمره في شوارع كركوك. وعرف الحمامجي بهذا اللقب نسبة إلى الحمام الذي كان يعمل فيه المجاور لبيته، وكان يسكن في بيت خرب، معتم، وليس فيه سوى غرفة واحدة فيه وسريره العائلي ومكتبته. وبسبب ضيق المكان كان يلتقي بمن يأتي إليه زائرا في الزقاق الملطخ بالسخام المفضي إلى البيت في نهاية شارع (أطلس). وقد كتب حمزة قصيدة النثر، ونُشرت له مقاطع مفعمة بالغرابة في مجلة (الكلمة)، ثم نشر أجزاء من رواية تركمانية عنوانها (ثيران الجنة) وكان الاسم مستعارا من أحد فصول رواية (يوليسيس) لجويس، وفيما بعد تبين أن اسم الرواية هو (أيتام الجنة)، وقد حصل خطأ في ترجمة الكلمة من التركمانية إلى العربية. فكان حمزة يسهب في الحديث عن الأدب والروايات والشعر الفرنسي، لكن بعد مرور الزمن أُصيب بنوبة قلبية منعته من

الكلام، فكان يُجيب من يسأله بحركة الرأس في الاثبات والنفي، ولم يتغير حال معيشته حتى بعد أن عُين عاملًا في دائرة الكهرباء بكركوك، وبات يحمل السلالم المعدنية، ويربط الاسلاك.

أما إسماعيل إبراهيم فقد عمل موظفًا في بلدية كركوك، وهو عربي ينظم شعرًا بالتركمانية، ولكنه يكتب قصصه القصيرة بالعربية في محاكاة خلَّاقة لواقعية تشيخوف، كون التداخل الثقافي، والاندماج الإنساني، حل مكان الخصوصية المغلقة، في المجتمع في ذلك الوقت، وأن إسماعيل كان واحدا من النماذج الكثيرة في كركوك التي تفكِّر وتعبِّر بلغتين، وقد شُهد له أنه برع في ذلك.

أما رمضان محمد الذي كان يتردد على الجماعة من شهر لآخر، فهو ضابط في رتبة متوسطة، وسعى ليكون أديبًا، لكن التربية الصارمة حالت دون اندماجه الكامل في الأدب. فبقي مجاورًا للمنطقة الأدبية إلى أن احيل إلى التقاعد برتبة لواء في نهاية التسعينيات. وكان منكبًّا على تدوين مخطوط ضخم عن تاريخ كركوك مُذ عرفا باسمها القديم(أرابخا)، ولطالما اصطحب رمضان الجماعة الأدبية الأولى إلى صالة القادة الفخمة في نادي الضُّباط بوصفه ضابطا، وقد استدعي مرة ؛ بسبب دعوته جملة من الصعاليك إلى قاعة كبار قادة الجيش العراقي ، غير عابئ بالمقاييس التي كانت توجب في ذلك الوقت حفظ المقامات.

أما الشاعر الأرمني خاجيك كربيت آيدنجيان فهو شخصية شفافة، نقية، بكرش كبيرة، وجسم ضخم، عمل موظفًا في شركة نفط الشمال، وكان يخترق شوارع المدينة بدراجة هوائية كخيمة منفوخة، وبربطة عنق عريضة تلعب بها الريح خلفه، وكأنه في سبيله للإقلاع. وهو نجم شارع الجمهورية التجاري الذي يشطر كركوك من الشمال إلى الجنوب، وكان يسكنه هوس في الحنين إلى أرمينيا، وقد استلهم عبد الله إبراهيم شخصية خاجيك في قصته (مارثون الليل)، وقد كتب خاجيك مطولات شعرية ملتوية، استلهمت تاريخ أرمينيا. وأعدَّ خاجيك ديوانًا بعنوان (الحشرة الأفيونية)، لكن منضِّد الحروف لم يكن يفرِّق بين السين والشين، شأنه شأن الشاعر، فصدر الكتاب بعنوان (الحسرة الأفيونية) ، وقد اعتقدت الجماعة أن العنوان يعبر عن حسرة الشاعر على وطنه الذي أصبح ذكرى، وفضلا عن هذا فأن الديوان لم يحقق نجاحا حينها، ؛ ما دفع عبد الله إبراهيم أن يكتب مقالة في جريدة (الراصد) ولكن المقالة لم تغير من حال الديوان في الأسواق ، ولم تُبع أية نسخة ، وعلى الرغم من هذا كله ظل خاجيك كربيت في عداد الشعراء المبرزين طبقًا للمعايير في تلك المرحلة.

2- جماعة كركوك الثانية :

أما جان دمو فهو من أدباء الجماعة الأولى وزعيم الثانية، وهو أديب بلا أدب ولا تُذكر له إلا شذرات متناثرة، ومترجم ينقِّب عن معاني الكلمات في قاموس صغير يحمله معه، لكنه مذواق، وساخط ، وكثير التثاؤب، وشبه منطفئ، وقد تشبع بالتخيلات الأدبية، ولم يكن اسم (جان) هو الاسم الحقيقي له، فاسمه "دنخا" وقد انتحل اسم جان لسبب أدبي. عُرف جان لصِّ كتب، وقد حصل على معطف طويل من باعة الأرصفة، وشقق بطانته الداخلية، وأحالها جيوبًا، وكثيرًا ما ضُبط في بغداد بمعطفه المعبأ بالكتب الصغيرة، وهو يهم بمغادرة مكتبات الباب الشرقي، وعلى الرغم من الافلاس الدائم الذي عرف به جان إلى نهاية حياته لكنه عرف بنبله أيضا حين يكتفي، وهو ظاهرة في الثقافة العراقية في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، غذَّتها ظروف الثقافة العراقية في حينها. وقد عرف جيل الستينيات - وجان منهم- مزيجًا من الوجودية والماركسية، وقد مثّل جان هذه الحالة خير تمثيل بعد أن تشبع بالوجودية قبل ذهابه إلى بيروت، وقد ربط جان دمُّو المثقفين العراقيين بماضٍ يحنون إليه، وحاضر لا يستطيعون قبوله؛ فظهر جان بينهم ناشزًا لا يُحتوى كأنه بطل وجودي متمرّد في قلب بغداد الشمولية؛ فبات تجسيدًا حيًا لما اخفقوا فيه خوفًا وارتيابًا، فهو الذي ينطق نيابة عنهم، وهو " الطفل المشاغب الذي عكَّر ركود الثقافة العراقية في عهد الاستبداد"(إبراهيم، 2017، ص91) فيما التهم الارتياع والاحتراس الآخرين كافة، وهو أكثر الشخصيات تأثيرًا في شخصية عبد الله إبراهيم ، فقد كان جان يلوك الأسماء المدهشة لكبار الكتَّاب والشعراء في العالم، ويمضغها وكأنه تربى معهم، وكان كل ما يذكر اسم أحدهم يصدر صفيرًا تعجبا طويلًا، وهذا ما زاد شغف (عبد الله إبراهيم) بالآداب الغربية ، والتفاته إلى هؤلاء الأدباء حيث كشف له ذلك العالم الذي لم يكن مكتشفه بعد، فكان الأدب الغربي محط اهتمام جان من دون سواه. ولطالما توعد بأنه سيكتب رواية أفضل من " موسم الهجرة إلى الشمال" لو أقرضه أحدهم عشرين دينارًا، وكان يعتمد بمصاريفه اليومية على الجماعة، وكان يتأبط كتبًا إنجليزية مسروقة من إصدارات "بنغوين". وكانت أسماله تفوح منها رائحة كريهة، ولا يرغب جان في تغيير أي شيء منها، حتى أوساخه كانت مقدسة لديه، وظل عنيدًا إلى وفاته، و" قطبًا لجماعة كركوك الثانية قبل عشرين عامًا"(إبراهيم، 2017، ص92)

وكان رأي جان واضحًا وصريحًا جدًا بما عرضه عليه عبد الله إبراهيم من القصص والأعمال الأدبية التي انتجها، وكان يرمي معظم القصص التي يعرضها عليه في سلة النفايات، ولم يرضَ عن أية قصة كتبها، وما أثنى على سطر فيها. وحينما انصرف إلى النقد أظهر جان إعجابًا بما قرأه مصادفة، بالرغم أنه لم يأخذ برأي جان. وقد ظهرت في الثمانينيات زُمر من الأدباء الصغار في بغداد، وأحاطوا بجان حين وجدوا فيه ضالتهم، وجمعوا له زهاء ثلاثين قصيدة وطبعوها في ديوان، وتحمَّلوا كلفة نشره، وصدر بعنوان (أسمال)، وأصبح هذا الديوان مثار حديث المجتمع الأدبي، وكان يعد من النوادر في المكتبات العراقية، ووثيقة أدبية

يصعب التفريط بها لمن اقتناها. وقد كتب عبد الله إبراهيم مقالة فور صدور أسمال _الذي نشر دون توقيع صاحبه عليه وكأنه منشور سرّي_ كنوع من التضامن الخفي مع الحال التي يعيشها جان، ويعيشها أغلب المثقفين العراقيين، فكان يستعيد فيها طرفًا من علاقتهم السالفة في كركوك.

أما (محمد صابر عبيد) فكانت علاقته بعبد الله إبراهيم متذبذبة بين القوة والفتور، حيث تم التعرف عليه في الثمانينيات، في إحدى ندوات جامعة الموصل، وكان يقيم في بيت عبد الله إبراهيم حينما يزور بغداد؛ وقد توثقت العلاقة الشخصية بينهما بسرعة وبقوة ، ولكنها سرعان ما فترت في مطلع التسعينيات، وبقيت على ما هي عليه عقدين من الزمن، وقد عمل عبيد استاذًا في جامعة تكريت ثم جامعة الموصل، وألف دزينة من الكتب في موضوعات كثيرة، وقد انتهى به الحال لاجئًا في شرق تركيا جوار بحيرة " وان" بعد أن احتلت داعش مدينة الموصل. وكان عبيد أحد النقاد العراقيين الذين آزروا عبد الله إبراهيم في "المشروع النقدي الجديد في العراق"، وكان عبيد يكتب كل شيء من الخاطرة، إلى القصيدة، إلى المقال غير الأدبي، إلى البحث عن الشعر، إلى الكتابة عن السَّرد، ويستهل الأمور على نحو لا يمكن قبوله، وكان تفاعله مع الكشوفات المنهجية الجديدة في العلوم الإنسانية محدود جدًا؛ ولهذا تعرض عبيد إلى تقويم صارم من قِبل جماعة النقد الجديد، وأنه يحتاج إلى التفكير بأمر ما يكتب، فالتقط هو الحديث، وأقر بالملاحظات، وقال إنه يكتب غالبًا تحت إحساس بالحاجة المادية، واقر بعد ذلك إنه سيتخلص من كل هذه العوائق. ومن جملة آرائه في منجز عبد الله إبراهيم " بأن لغتي وصفية لا إيحاء فيها، وهي ليست أدبية، وينفر القارئ منها، ويعزف عنها، وربما لا يتجاوب معها." (إبراهيم، 2017، ص260).

أما جليل القيسي فكان أكبر من عبد الله إبراهيم بعشرين عامًا، فهو كهل، معزول عن إيقاع الحياة، وكان يستعرض ثقافته النظرية ويجعلها خلفية لأدبه، ونصوصه شاشة لاستعراض قراءته. وقد رفض مغادرة العراق إلى أن انتصر على كل شيء بالموت داخل أسوار الوطن. وكان بيت القيسي مكانًا للقاءات التي جمعت بينه وبين عبد الله إبراهيم وتبادل أطراف الحديث بخصوص قضايا الفن والأدب، وحديث حول الأوضاع العامة، وملاحظة عبد الله إبراهيم تعلَّق القيسي ببعض الأوهام الأيديولوجية، وتبني التصورات تجاه القضايا العامة، فضلا عن النظر إليها من زاوية ضيقة ؛ إذ ظل أسيرا لمقولات تجريدية أسرف في ترديدها في حياته وأفكاره، وأدبه، وكان يدرجها في قصصه، ومسرحياته. وكان عبد الله إبراهيم يرى نقصا في فهم القيسي لأمور الحرب، ونظرته كانت نتيجة قراءاته وليس تفكيره فيما عليه البلاد، وكان فكره خليطًا بين الشعارات الماركسية والوجودية، ويسقط في التعميم غالبًا. فهو بهذا الرأي يحدد طبيعة القيسي بأنها تعيش في عالم الكتب وليس الواقع. وفي المقابل رأى القيسي إن عبد الله إبراهيم " إنسان البعد الواحد الذي خلقته السَّلطة، كما في كتاب " هربرت ماركوز"(إبراهيم، 2017، ص179)، فهو يحلل طبقًا لما تقوله الكتب.

وعليه يذكر عبد الله إبراهيم أن القيسي كان يحثه على أن يقطع الصلة بكل ما يتعلق بالتجنيد في الجيش العراقي، ليكون منسجمًا مع نفسه وأفكاره، وليضبط أخطاءه الأخلاقية، ويقنَّن التلفيق بين كونه جزءًا من سلطة طاغية، كونه أديبًا وإنسانًا. وقد بذل القيسي المستحيل لإبعاد الدكتور عبد الله إبراهيم عن شوائب الأخطاء الكبرى، فيما كان الثاني مصممًا على الارتكاس فيها. ولم تثمر انتقادات القيسي في إعادة وعي عبد الله إبراهيم وتحرره وتخلصه من رهانات الأخطاء الكبرى إلا بعد مضي سنوات عدة بحسب اعتراف عبد الله إبراهيم نفسه؛ بعد أن أعاد النظر في الأعمال الأدبية للقيسي ؛ فوجدها أعمالا جليلة مبهرة أنيقة غريبة تستحق التقدير، لكنها افتراضية، مستعارة، تتهرب من إثارة السؤال، وتستلهم عوالم إبداعية أخرى. ولعل الأهم بعد هذا كله تحقق نبوءة القيسي بنجاح عبد الله إبراهيم في ميدان النقد الأدبي ، وليس في كتابة القصة، وتعليل ذلك بقوله:" لأنه لا يجيد بناء الحالات الدرامية الحادة التي يجب أن تُبنى عليها القصة(إبراهيم، 2017، ص181)، ولم تمضِ إلا سنوات حتى تحقّق كل ما تنبأ به القيسي لمستقبل عبد الله إبراهيم بحذافيره.

3-سعيد الغانمي :

أما سعيد الغانمي فقد تعرف إليه بعد أن التحق بالجلسة الأسبوعية في نادي اتحاد الأدباء التي تكاد تقتصر على جماعة من النُّقاد يوصمون بالجدية المفرطة ؛ فلا يروق للأدباء مجالستهم لما كان يرونه فيهم من وقار لا يليق بروَّاد النادي، وقد تعرف عبد الله إبراهيم إلى الغانمي في هذه الجلسات ، وقد عُرف عن الغانمي في أول أمره انصرافه إلى اللغويات والترجمة، وهو مثَّقف ذكي، ومتبصَّر، وعارف بخارطة الأدبين العربي والأجنبي، ولغته متينة، لكنه منطوٍ على نفسه، ولا يفصح عن موقفه. وما جذب عبد الله إبراهيم إلى الغانمي هو جديَّته الكاملة، ومعارفه الموسوعية، وقد أثمرت علاقتهما الثقافية فكرة كتابهما المشترك مع (عواد علي)، "معرفة الآخر" الذي طُبع في عام 1990. ثم شقَّ الغانمي طريقه ببراعة ناقدًا ومترجمًا، وحين ارغمت الظروف السياسية وظروف الحصار الاقتصادي عبد الله إبراهيم على العمل استاذًا في إحدى الجامعات الليبية في مطلع التسعينيات سارع إلى إبرام عقد عمل للغانمي في أحد المعاهد التعليمية في ليبيا، فجاوره لسنوات في مدينة زوارة قرب الحدود التونسية. وظل الغانمي لسنوات منصرفًا للعمل الثقافي، ترجمة وتأليفًا، وبعد ذلك انتقل إلى استراليا، وفي الوقت ذاته انتقل عبد الله إبراهيم إلى جامعة قطر، وانقطعت بينهم السُّبل إلا لقاءات عابرة هنا وهناك، واستغرق الغانمي معظم وقته في التأليف، والترجمة، والتحقيق. وشارك الغانمي في " المشروع النقدي الجديد في العراق" الذي ضم كلا من عبد الله إبراهيم، وعواد علي، ومحمد عبيد صابر، والذي نادى به عبد الله إبراهيم ، ولم يستجب إليه إلا هؤلاء الأصدقاء.

وللغانمي مقالة بعنوان" وحدة الإشكالية في المشروع النَّقدي الجديد في العراق" ناقش فيها الأفكار التي طرحها عبد الله إبراهيم في بيانه الخاص بالمشروع النقدي الجديد، فجاءت هذه المقالة بمثابة إعلان عن ميلاد نقدي جديد في الأدب العراقي. ولقد لخص عبد الله إبراهيم رأيه في الغانمي ناقدًا ومترجمًا بقوله: " على الرغم من عدم اتضاح اتجاهه النهائي بين الترجمة واللسانيات والنقد، فما يكتبه في غاية الأهمية، وهو مبتكر، وموظِّف بارع للمناهج والأفكار فيما يكتب، ولهذا فبحوثه القليلة(كذا) مهمة جدًّا "(إبراهيم، 2017، ص260) وتباينت الاهتمامات بين جماعة النقد الجديد، فقد انخرط عبد الله إبراهيم في السَّرديات، ونقد المركزيات الثقافية، وعبيد في الشعريات، وعواد في الدراسات المسرحية، فيما مضى الغانمي في مساره بين الترجمة والنقد والتحقيق(إبراهيم، 2017، ص262) .

د-**شخصيات أخرى:**

لقد وردت في أمواج إشارات كثيرة إلى شخصيات أخرى ، وكان القاسم المشترك بينها أثرها المحدود نسبيا في حياة عبد الله إبراهيم وتكوين شخصيته ، ولم يكن في وسعه تجاهل الإشارة إليها مع حرصه على استكمال بناء ابعاد شخصيته ، وهذا إقرار بأثرها الحساس في نمو الأحداث وتطورها ، وإن كان في الظاهر أنه محدود إلا أن تفاعله معها جعل ذكرها تأكيدا لحدث ما، أو رفضا له في أمواج سيرته ، أي إن حضور بعض هذه الشخصيات كان محدودا في مساحته ، ولكنه بحسب اعترافات عبد الله إبراهيم أحدثت تحولا عميقا في سيرته تارة ، ومنعطفا كبيرا في تغيير مسار أحداثها وتوجيهها تارة أخرى ، وأضاءت جوانب مهمة في أبعاد شخصيته ؛ فمن الثابت أن بعض هذه الشخصيات قد تكون حاملة لوجهة نظر المؤلف في أحداث مهمة جدا(اوسبنسكي،1983، ص22) وليس من الممكن إغفال وظيفتها في استكمال بناء أبعاد شخصيته

1- المرأة:

لم تتعدد صورة المرأة كثيرا في أمواج، وانما كانت على شاكلة المرأة الصديقة أو الحبيبة ، ولطالما كانت علاقته بها مؤقتة، تزول بمرور الأيام، إلا ما ندر مثلما حصل مع (ظمياء) التي هام بها حبا وعشقا ، فحاولا معا أن يتوجا حبهما بعلاقة دائمة ولكن الظروف كانت أقوى منهما(إبراهيم، 2017، ص503) كما كان دور المرأة الأخت ضئيلا جدًا، واقتصر على ايام الطفولة فقط، وكذلك المرأة الزوجة ؛ إذ لم تذكر سوى مرة واحدة فقط في موقف المطار عند مغادرته ليبيا.

وكان عبد الله إبراهيم يؤمن بأن الحب من دون تقسيم إلى عذري وحسي "فلا يعرف وحدة الجسد إلا من أطفأ الحمَّى في حضن امرأة"(إبراهيم، 2017، ص48) ولا تستأثر المرأة باهتمامه " إلا المميزات، أولئك

النسوة العاديات يبدون لي خاملات، مُنفرات، فيما أنجذب إلى السمراوات الطوال ذوات العيون المترفة" (إبراهيم، 2017، ص47) وقد عد ذلك عيبا فيه لا يغُتفر ، وقد لازمه منذ الصغر. ولم يخفِ عبد الله إبراهيم دور المرأة والعاطفة في حياته، وما كان يجده فيهن من ملاذ ، واستعادة توازن في مواجهة التحولات التي تتصارع في داخله، " فقد انزلقت إلى منحدر أجهل قراره، وكنَّ مدخلي لإطفاء القلق الذي أحاطني من كل جانب، وبحضورهن تتلاشى مظاهر السراب التي تلاحقني، وأنا أعيد ترتيب رؤيتي الجديدة للعالم، فأتردَّد، وأحجم، وأتريث، وأقدم، وأتراجع، وأقرّر، وأطوف، حول مركز يربطني بحالة واحدة، فلا يتيح لي الانفصال لا عن نفسي ولا عن عالمي، فكأنني بالمرأة أتفادى مواجهة الحقائق الُمرَّة." (إبراهيم، 2017، ص217) فالمرأة في نظر عبد الله إبراهيم هي استقرار وملاذ وإعادة تنظيم لكل شيء حين تختلط الأمور في الحياة العامة، وتتسبب مشاغل العمل وضغوطها بالتخبط في اتخاذ بعض القرارات، ولم يرد الدكتور عبد الله إبراهيم بهذا أن المرأة وسيلة، وليست شريكا رئيسا في الحياة ، وأكد ذلك بقوله:" وتبيَّن لي لاحقًا أن تصوُّري لعلاقة الرجل بالمرأة تقليدي، ولا يختلف عن نظرتي للشؤون العامة، فهي ليست وسيلة لعبور أزمة جوَّانية تمور فيَّ إنما ينبغي أن تكون شريكًا. ينبغي نسف التركة الموروثة التي حملتها معي من الماضي، وثمة شك في أنني قادر على كل ذلك!"(إبراهيم، 2017، ص217) وهذا اعتراف شجاع وجريء ومهم للغاية أوجز فيه عبد الله إبراهيم الإجابة عن الكثير من التساؤلات التي تخص موقفه من المرأة ، تحت مظلة الثقافة الذكورية التي اختزلتها إلى جسد وجعلتها تابعا للرجل ؛ فهو لم يستثن نفسه من التأثر بهذه الثقافة ، ولكنه في الوقت ذاته رأى وجوب مغادرتها ، ووضع حد لآثارها ، على الرغم من إقراره بصعوبة ذلك ؛ مؤكدا أن الاختلاف هو خير وسيلة لإعادة الحياة لمسارها الصحيح، وهذا الأمر جعل عبد الله إبراهيم ينتقي النساء بشكل مختلف. فنراه أحيانًا تستهويه تلك البدوية، واحيانًا الشاعرة، وأحيانًا أخرى تلك العاملة في المطبعة، وتلك المثقفة، وغيرها .

ولطالما كان عبد الله إبراهيم شغوفا بالتجارب الجديدة، التي سلبته القدرة على المطاولة في الحفاظ على العلاقات القديمة؛ مبررا ذلك بقوله:" لا أدَّعي بأنني ملول، ومخادع، ومتنكِّر لنساء منحنني الحب واللذة، لكنني أفتقر إلى الصبر، والمطاولة، وطالما ترقَّبت علاقات خاطفة، وصادقة، ولا يترتب عليها سوى الذكرى العميقة كبصمة في التاريخ الشخصي، وكوشم في عمق الروح"(إبراهيم،2017، ص242) ولهذا لم تكن علاقته بالنساء ثابتة ، ولا عابرة ، وإنما كانت تنتصف بين هذا وذاك، بسبب فلسفته الخاصة في الحب والنساء؛ التي لا ترى ضرورة أن تطمر الصلات بين النفوس العاشقة تحت القيود الشرعية، لأنها تشتق ويعاد صوغها طبقًا للقيم السائدة. ولكن هذه الفلسفة كانت تتعارض مع تطلعات النساء ، حتى عدت استغلالًا وتلاعبًا؛ ولهذا كانت علاقته بهذا النوع من النساء قصيرة؛ بسبب رغبتهن بمدَّ شمول العلاقة الخاصة إلى

الحياة العامة، وهو غير قادر على قبول ذلك ولا على استيعابه. ووفق صرامته لمفهوم العلاقة الزوجية ، أنه لم يجده كفؤًا في رفد الإشباع النفسي، إنما للسكينة الاجتماعية، ومع اعتقاده التام بكل هذا فهو لم يمل للسكينة الاجتماعية ، ولا إلى رغباته بشكل نهائي، بل استمر بين هذا وذاك. وقد اعترف الدكتور عبد الله إبراهيم في سيرته عن دور المرأة في حياته، وأنه تعرف على عالم النساء بوقت مبكر، واكتشف أن عالم النساء أغنى مما تصوَّر، " فكل امرأة قارة لا ينبغي للرجل الادِّعاء أنه اكتشفها حتى لو أمضى معها العمر كلَّه "(إبراهيم، 2017، ص47) ولهذا لا يمكن اختزال النساء بحسب رأيه إلى نماذج ثابتة، فكل امرأة تطوي سرًّا لا مهارة في كشفه ولا تقدير قيمته، وفضلا عن هذا لم يردعه عُرف عن علاقته بهن، فهو من الرجال الذين تجرفهم الغواية، وتدفع بهم إلى الهلاك. " أسعفتني النساء؛ فهن المُكافئ لجموح استعر حارقًا على خلفيَّة من إحباط عظيم خيَّم عليَّ " (إبراهيم، 2017، ص569) فكانت المرأة في حياته، هي المسعف والمكافئ، والمنفذ في الخروج من ذلك الإحباط الذي احاط به، وخيم عليه في بعض محطات حياته.

2-نوري العوَّادي:

ومن الشخصيات المهمة التي تركت إثرًا بالغًا في سيرة عبد الله إبراهيم الشاعر الدكتور نوري العوادي رئيس قسم اللغة العربية في كلية التربية جامعة البصرة، والذي كان عضوًا باتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين_ بغداد. وذلك حين سأله قائلًا:" لماذا تهدر موهبتك في قسم الإنجليزية؟ مكانك هنا في قسم اللغة العربية." (إبراهيم، 2017، ص107) وذلك بعد أن قدم له عبد الله إبراهيم قصة كتبها بعنوان "صخب داخلي" بتأثير من رواية " الصخب والعنف" وقابله العَّوادي بلطف وعذوبة ، وأعجب بها وأثنى على نتاجه ، فأعاد للدكتور عبد الله إبراهيم الثقة بنفسه بعد أن فقدها منذ أشهر، وخاصة بعد أن اقترح عليه نشرها في مجلة تصدرها الكلية؛ فكان لنوري العوادي أثر بالغ في تغيير المسار الأكاديمي لعبد الله إبراهيم.

3-سامي مهدي:

وكان الشاعر سامي مهدي عضو مكتب الثقافة والإعلام في القيادة القومية لحزب البعث، ورئيس تحرير جريدة " الثورة" الناطقة باسم الحزب، وكان مكلفًا بمراجعة أطروحة عبد الله إبراهيم ، وفحص سلامتها الفكرية قبل نشرها ؛ فخصَّها بتقرير مفصل أوصى فيه بإحالتها إلى وزارة الأوقاف والشؤون الدينية للبتِّ في أمرها؛ واحتفظت بها وزارة الأوقاف ستة أشهر، ثم أرفقتها بتقرير من إحدى وعشرين صفحة رفض فيه بصورة قاطعة نشرها ؛ لما فيها من إساءة للثقافة الإسلامية. وحين قام عبد الله إبراهيم بنشرها في بيروت كتب مهدي بحثًا عنها في مجلة " آفاق عربية" انتهى فيه إلى أن عبد الله إبراهيم أساء إلى الفكر القومي بصورة لا تخفى، وطلب ردا على مقالته، لكنه لم يرد عليه، فعمد سامي مهدي إلى كتابة مقالة أخرى في

جريدة " الثورة"، وبعد ذلك قام بتأليف كُتيّب حولها بعنوان " الثقافة العربية من الشفاهية إلى الكتابة" أعاد فيه مضمون تقريره الخطِّي عن الكتاب قبل نشره، واكتفى عبد الله إبراهيم بالإشارة في مقدمة الطبعة الثانية إلى ما تعرَّض له الكتاب من سوء تفسير في العراق، حيث مُنع نشره، مذكرًا بعمليات القمع الفكري التي واجهها على يد أصحاب النفوذ والسلطة في تلك المرحلة.

4- عبد الله السراج :

أشار عبد الله إبراهيم إلى القاص عبد الله السراج بلقبه الفني الإبداعي ، وهي إشارة إلى مكانته الأدبية، لأن عبد الله إبراهيم لم يمل كثيرا إلى ذكر الألقاب والأسماء الصريحة للعديد من الشخصيات في سيرته، وذكر القاص عبد الله السراج بلقبه كان اعترافا منه بإبداعه الفني. ولعل هذا بسبب رمزية قصص عبد الله السراج وغموضها التي أثارت فضول عبد الله إبراهيم وكانت سببًا للتعرف عليه ، واستمراره في متابعة أخباره ولا سيما بعد عام 2003؛ إذ وجده بائعًا في حي شعبي يعج بالنفايات والأوحال، ويعتاش من دكان صغير جوار بيته، وقد تبخرت أحلامه، " يجلس على كرسي مخلَّع بانتظار الأطفال يبيعهم بعض السكاكر والموالح. وكنت معجبًا بقصصه الرمزية، شديدة الغموض" (إبراهيم، 2017، ص76) وحين زاره في بيته في بعد انهيار البيشمركَة في أعقاب الأحداث التي دارت في المناطق الشمالية، وما رافقتها من قتل وفتك بين الجيش والمقاتلين الكرد - وجده " مكروبًا، مقطب الحاجبين، ينظر إلى العالم بغضب عبر زجاج نظارته السميك كعقب كأس، وكأنَّ العالم على شفا هاوية"(إبراهيم، 2017، ص75) إذ كان السراج شاهد عيان على الوقائع التي جرت هناك، ولم يكن عبد الله إبراهيم مطلعا عليها، فاتخذ من شهادته مصدرا لإعادة النظر في الكثير من تلك الأحداث، ولا سيما تعرض الكثير من الأدباء والمثقفين إلى ظروف معيشية صعبة وقاسية ؛ اضطرت بعضهم إلى التخلي عن أحلامه وآماله كما هو الحال مع القاص عبد الله السراج.

6-النسَّابة:

أشار عبد الله إبراهيم إلى شخصية النسابة ليحدد موقفه من الانتماء القبلي ، ويفصح بطريقة لم تخل من تهكم وسخرية عن رفضه له، وتأكيد هذا في حواره مع تلك الشخصية التي تم الإشارة إليها بلقبها وليس باسمها الصريح: "جاء النسَّابة يزورني بعد غيبة طويلة، متَّشحًا بعباءة جديدة، مملوء الأوداج من الولائم، وقد طاف، منقبّا، بالحمدانيين من البصرة إلى الموصل، يعدُّ كتابًا في نسبهم، فداعبته، وأصبحت القبيلَّة والطائفيَّة هوية العراقيين الجديدة، فقلت له: _ كيف تتبع شفويًّا المناسم الغامضة لتعيدني إلى شخص عاش قبل أكثر من ألف سنة؟ وهل ثمة ثقة في انتساب شفوي، إذا كان في الأصل ثمة ثقة في الانتساب؟ نظر إليَّ، وكأنه فُجع، وخُذل، فهو عَّلامة العشيرة، ومؤصل هويتها، فغصَّ بلقمته في مضيفنا المُشرع على الأشجار المثمرة،

فعاجلته قبل أن يختنق ألا ينسى إضافة أسماء أحفادي إلى الشجرة المثقلة بالبطون والأفخاذ، فقد زدنا رجالًا في القرن الجديد. ولم تتضمن شجرته أيًا من نساء الأسرة، كأنهن رماد تطاير في عواطف القرون. "(إبراهيم، 2017، ص22، 23) فهذا الحوار أفصح عن سخرية عبد الله إبراهيم من محاولات النسابة التي سعى فيها إلى إيجاد صلة بينه وبين شخص مفترض عاش قبل ألف سنة، فضلا عن إنكاره فعل النسابة في تغييب النساء عن شجرة النسب المزعومة التي أعدها؛ ملوحا بهذا كله إلى أسباب عدم مبالاته بالنسب القبلي، وما ينطوي عليه من مزاعم وادعاءات لم يكن بوسع نظر عبد الله إبراهيم التصالح مع أنساقها الثقافية ، والاطمئنان إليها.

7- **شكور بربر:**

ومن الشخصيات العابرة التي أشار إليها عبد الله إبراهيم في سيرته هو الحلاق شكور، الذي أمتهن قلع الأسنان، وزرق الإبر، والضِّماد، فضلًا عن جزَّ الشعور، وكان يقع محله في سوق الاكراد في كركوك، وهو رجل ضامر طويل بإزار أبيض متسخ، ونال شهرته بعد أن شاعت أنه عالج عبد الكريم قاسم من رعاف مزمن أصابه قبل أن يقود انقلابه 1958، ليكون فيما بعد سببًا في تأزم حالة والدة عبد الله إبراهيم وأصابتها بالسرطان ، بعد إقدامه على قلع اسنانها الأمامية أثر رفسة عجل بقرتهم ، وإقحامها في رحلة عذاب تلاشيها وذوبانها أمام عائلتها؛ ليحوز بسبب هذا كله على المساحة المناسبة في سيرته الذي قاسمها آلام مرضها، وعبر عن ذلك بأسلوب مؤثر.

الخاتمة :

لقد قدمت سيرة " أمواج " صورة متكاملة عن شخصية عبد الله إبراهيم لغاية تاريخ صدورها ، وأضاءت أبعادها ، وأوضحت ملامحها الخارجية والداخلية من خلال أقوالها ، وأفعالها ومواقفها من الأحداث ولاسيما التي عاصرتها ، وكذلك من شبكة العلاقات الكبيرة والمتنوعة مع الشخصيات الأخرى ، بدءا من علاقتها بأفراد عائلتها ، ولاسيما أمه ، ومرورا بأصدقائه ، وبعض أساتذته ، وتمثيل مدى تأثرها بهذا الطرف أو ذاك من خلال علاقات الحضور والغياب ، وتأكيد هذا بحسب سعة المساحة التي أفردت لها في السيرة ، وكان التركيز على تمثيل البعد الداخلي لشخصية عبد الله إبراهيم ، ولاسيما الثقافي ؛ إذ كان هو المهيمن فيها ، والمحور الذي دارت حول معظم أحداثها .

المصادر :

1ــ إسماعيل نوري الربيعي، عبد الله إبراهيم؛ في الجوهر المعرفي، ضمن كتاب التأليف الموسوعي ـ دراسة في منهج عبد الله إبراهيم، إعداد مناف الموسوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2022.

2- اندريه موروا، فن التراجم والسير الذاتية، ترجمة د. أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة، 1999م.

3- أنس عبد شكشك، الهندسة النفسية، إدارة الجسد وتشكيل الشخصية، دار الشروق للنشر، عمان، ط1، 2012م.

4ــ باقر جاسم محمد، الأنساق المضمرة في " الأمواج" ، ضمن كتاب التأليف الموسوعي ـ دراسة في منهج عبد الله إبراهيم، إعداد مناف الموسوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2022.

5- بوريس اوسبنسكي، شعرية التأليف، بنية النص الفني وانماط الشكل التأليفي، ترجمة سعيد الغانمي وناصر حلاوي، المشروع القومي للترجمة، 1983م.

6- تيتيز رووكي، في طفولتي، ترجمة طلعت الشايب، مراجعة رمضان بسطاوبيسي، المشروع القومي للترجمة، ط1، 2002م.

7ـ عارف الساعدي، السيرة الذاتية حينما تكون نصًا أدبيًا، ضمن كتاب التأليف الموسوعي ـ دراسة في منهج عبد الله إبراهيم، إعداد مناف الموسوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2022.

8- عبد الله إبراهيم، أمواج، دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، قطر، ط1، 2017م.

9ـ فاضل عبود التميمي، من كتابة اليوميّات إلى تدوين السيرة، ضمن كتاب التأليف الموسوعي ـ دراسة في منهج عبد الله إبراهيم، إعداد مناف الموسوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2022.

10ـ لطفية الدليمي، إشتباك خلاّق بين العام والخاص، ضمن كتاب التأليف الموسوعي ـ دراسة في منهج عبد الله إبراهيم، إعداد مناف الموسوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2022.